أبو يعلى الزواوي

حياته وآثاره ومرجعيته السلفية

أ. بلقاسم شتوان

كلية الشريعة والاقتصاد

مقدمة:

يموت العظماء فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله ،وتبقى معانيهم الحية في الأرض، قوة تحرك، ورابطة تجمع ، ونورا يهدي،وعطرا ينعش هذا معنى العظمة وهذا معنى كون العظمة خلودا ، فإنّ كل ما يخلّف العظماء من ميراث ، هو أعمال يحتذيها الناس من بعدهم،وأفكار يهتدون بها في الحياة ، وآثار مشهودة ينتفعون بها. وأمجاد يعتزون بها ويفخرون، والاعتزاز والفخر من الأغذية الروحية الحافظة لبقاء الذكر والنفع"[1] .. للأفراد والجماعات والأمم. فرحم الله شيخنا أبي يعلى الزواوي ورفع مقامه في أعلى الجنات وجمعه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين وبعد:

المبحث الأول

ترجمة الشيخ أبي يعلى الزواوي

مولده : هو السعيد بن محمد الشريف بن االعربي من قبيلة آيت سيدي محمد الحاج الساكنة في إغيل زكري من ناحية عزازقة بمنطقة القبائل الكبرى أو زواوة، وينسب إلى الأشراف الأدارسة ، ولد حوالي عام 1279هـ الموافق لـ 1862م.[2] والقرية التي ولد بها غير قريته الأصلية، وإنما انتقل إليها أبوه بعد أن عين إماما لمسجدها، وبها تزوّج، فوالدته منهم وكانوا من الشرفاء ومن أهل الخير والكرم. وأمّا قرية أبيه وجدّه فتسمى **"تفريت ناث**

[1]– محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر طبعة المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج2 ص 683

[1] . أبو عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري ، أضواء على حياة الشيخ أبي يعلى الزواوي الجزائري ، مقال منشور ب الإنترنات

الحاج "التي تقع على سفح جبل (**تامقوت**) الشامخ في دائرة عزازقة بتيزي وزو.[3] .وعليه فقبيلة أبي يعلي الزواوي هي "آيت سيدي محمد الحاج "[4] .

أما كنيته بالزواوي نسبة إلى المنطقة التي ينتمي إليها أصلا و هي بلاد زواوة أي منطقة القبائل و هذا وفقا لما كانت عليه العادة سابقا بربط الناس بمنطقتهم أو بمهنتهم.

طلبه للعلم : تعلم في قريته حفظ القرآن الكريم وأتقنه رسما وتجويدا وهو ابن اثنتي عشرة سنة على يد والده محمد الشريف، والحاج أحمد أجذيذ، والشيخ محمد السعيد بن زكري" مفتي الجزائر " والشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي كما أنه التحق بزاوية الأيلولي ومنها تخرج.[5]

تنقله وترحاله : أكثر الشيخ أو يعلى الزواوي من التنقل والترحال قبل أن يستقر في الجزائر العاصمة سنة 1920م .

وقد أومأ في بعض المواضع من كتاباته إلى أن دافع ذلك الفرار بالدين والعرض ولم يحدد الأسباب المفصلة لذلك ، وهذا تلخيص لهذه التنقلات:

يقول أبو يعلى رحمه الله :" أول خروجي من الزواوة كان في شرخ الشباب، وتوظفت في بعض المحاكم الشرعية". ولعل ذلك في بلدة "سدرا ته" فإنه ذكر في مقال له أن أهل هذه البلدة يعرفونه. ثم ارتحل إلى تونس وقد كان بها سنة 1893م . وكانت له رحلات إلى مصر والشام وفرنسا وذلك قبل سنة 1901م.

وفي سنة 1912م كان في دمشق يعمل في "**القنصلية الفرنسية**" وقد عمل بها إلى غاية سنة 1915م ، وفي مدة إقامته هناك نَمَّى معارفه بالأخذ عن علماء الشام وبالعلاقات التي أقامها مع الكتاب والأدباء وعلى رأسهم أمير البيان شكيب أرسلان .

ومع بداية الحرب العالمية الأولى اضطُر للخروج من دمشق لاجئا إلى مصر ، لأنه كان معروفا بمعاداته للحكومة التركية، ومناصرته لأصحاب **القضية العربية** كما سميت في ذلك العصر ،

---

[3] ـ تامقوت : عرين ذوي الحاج ، والعرين ماوى الأسد ، ينظر أبا يعلى الزواوي ، **جماعة المسلمين ص 34**

[4] . نبذة من حياة أبي يعلى الزواوي ، مقال منشور بالإنترانت

[5] ـ نبذة من حياة أبي يعلى الزواوي ، مقال منشور بالإنترانت

وفي مصر استزاد من العلم بلقاء أهل العلم وأعلام النهضة فيها، وممن جالس وصحب هناك **الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري والشيخ الطاهر الجزائري** والشيخ **محمد رشيد رضا** .ثم رجع إلى الجزائر سنة 1920م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فقضي مدة في زواوة ، ثم سكن الجزائر العاصمة وتولى إمامة **جامع سيدي رمضان** بالقصبة بصفة رسمية، ومع كونه من الأئمة الذين رضوا بالوظيفة عند الإدارة الفرنسية فقد تبنى الفكر السلفي الإصلاحي بقوة وحماس كبيرين، وعاش محاربا لمظاهر الشرك والبدع والخرافات وغيرها من أنواع المنكرات. وكانت له بعد ذلك تنقلات في طلب العلم والدعوة إلى الله منها ما كان إلى **بجاية و البليدة**[6]

شيوخه وأقرانه : ذكر الشيخ أبو يعلى الزواوي معظم شيوخه بنفسه في مؤلّفاته المطبوعة، ونذكر منهم جملة على سبيل المثال خاصّة الذين تأثّر بعلمهم وأخلاقهم كالآتي :

1 . والده الشيخ محمد الشريف الذي كان إماما ومؤذّنا وموثّقا وصاحب زاوية . 2 . الشيخ محمد بن سعيد بن زكري خطيب مسجد (**سيدي رمضان**) بالجزائر العاصمة سنة 1896م **ومفتي الجامع الأعظم**، والذي يعدّ من أبرز مدرّسي العاصمة، وقد كان من الفقهاء المتمكنين ، و تأثّر به أبو يعلى أيّما تأثّر وكان متبعا لسيرته في العلم والأخلاق والسلوك .

3 . الشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي المولود سنة 1836 ببجاية، وقد نوّه به وبعلمه الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي.[7] ووصفه ابن زكري شيخ أبي يعلى وصديقه وأنّه كان من المصلحين ودعاة القضاء على البدع التي كانت تساعد على نشر الشعوذة والخرافة، وقال عنه تلميذه أبو يعلى: إنّ الشيخ ابن زكري كشيخه البوجليلي ذكاء وشهرة.

---

[6] - نبذة من حياة أبي يعلى الزواوي ، مقال منشور بالإنترانت

[7] . محمد بن بشير الإبراهيمي مجاهد من كبار علماء الجزائر المشهود لهم بالعلم ولد 1306- 1385هـ الموافق لـ 1889- 1965م ولد ونشا بدائرة سطيف في قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد إبراهيم بن يحي بن مساهل من عمالة قسنطينة

4 – العلاّمة المحدّث الشيخ طاهر الجزائري الّذي وجّه الشيخ الزواوي للكتابة في موضوع لغة البربر والتعريف بقواعدها باعتبار كونهما من منطقة واحدة وهي بلاد الزواوة وقد مكث معه خمس سنوات كاملة في أرض مصر.[8]

5 . العلاّمة الشيخ رشيد رضا الذي كان الشيخ الزواوي يلقّبه بالصديق وحجة الإسلام في كتابه جماعة المسلمين.

6 . الشيخ محمد الخضر حسين الذي لقّبه أبو يعلى بصديقنا العلاّمة.

7 . الشيخ مبارك الميلي الذي لقبّه أبو يعلى بالأستاذ الإصلاحي الجسور

8 – محمد أفندي كرد علي صاحب مجلّة المقتبس ووزير المعارف في الشام، قال عنه: "صاحبنا"

9 . الشيخ الطيّب العقبي الذي كانت بينهما علاقة طيّبة ويشتركان في شدّة مواقفهما ضدّ مشايخ الطرق، قال عنه أبو يعلى لما وجّه له استفتاء لينشره في جريدة "الإصلاح" التي يديرها الشيخ العقبي: "صديقنا الأستاذ الخطيب الكاتب الناثر الشاعر المسامر والمحاضر بنادي الترقّي بمدينة الجزائر".[9]

أعماله ونشاطه الدعوي:

أ - تقلّد أبو يعلى الزواوي مناصب مختلفة في حياته بحكم ثقافته المزدوجة إن صحّ التعبير، فقد عيّن كاتبا في القنصلية الفرنسية بدمشق وعمل بها إلى حوالي 1915م أرسلته فرنسا إلى سورية طمعا منها في أن يقوم بإقناع الجزائريين المقيمين هناك بالتجنّس بالجنسية السورية لتفادي رجوعهم إلى أرض الوطن وهم يحملون الأفكار التحررية والنزعة الاستقلالية التي ظهرت بالشام.وفي مقابل ذلك وعدته فرنسا بمنصب الإفتاء إذا رجع إلى الجزائر.

---

[8] – الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري هاجر والده من الجزائر إلى دمشق سنة 1263هـ من بين علم وشرف ولد سنة 1268هـ 1851م في دمشق ، توفي في شهر ربيع الثاني سنة1338هـ -1920م له عدة مؤلفات منها : توجيه النظر إلى أصول الأثر ، العقود الآلي في الأسانيد العوالي ، مدخل الطلاب ، وغيره . ينظر : توجيه النظر إلى أصول الأثر ص1

[9] . الموسوعة الحرة ، إنترنيت

ب . النشاط الصحفي: من خلال إقامته بسوريا اتّصل بالعديد من الشخصيات والكتّاب والأدباء والسياسيين والصحفيين وأقام علاقات معهم، وساهم بمقالاته في بعض الصحف والمجلاّت فكتب في جريدة المقتبس التي كانت تصدر بدمشق. ،كما التقى بالعديد من إخوانه الطلبة الجزائريين، وواصل مشاركته في تحرير المقالات معرّفا بالجزائر وتاريخها ووصف أحوالها المزرية، وكانت له فعلا مساهمات تمثّلت في نشر مقالات في جريدة المؤيد المصرية وفي المجلة السلفية بمصر أيضا.[10].

مؤلفاته وآثاره العلمية : ترك أبو يعلى آثارا علميّة نافعة ضمنها خلاصة ما يؤمن به من أفكار، وما كان يطمح إليه من مشاريع جادة تخدم بالدرجة الأولى دينه ولغته العربية، ورغم أنّ جلّ هذه المؤلفات جاءت في شكل كتيبات أو رسائل مختصرة إلاّ أنّها حوت في مضامينها ذلك البعد العميق في تفهم قضايا أمّته عامّة، والتشبّث الوثيق بمكوّنات شخصية الأمّة الجزائرية خاصّة، ساعده في ذلك قوة لغته و روعة أسلوبه وانتظام أفكاره وكثرة استدلاله بالنصوص الشرعية في كتاباته الدينية. وهذا لفرط ذكائه ونباهته لألفاظ ومصطلحات يمرّر من طريقها أفكاره ويبرز فيها طموحه ويختصر بها أقواله ويعالج من خلالها الأدواء والأمراض التي شخّصها بنفسه، وخير مثال لذلك تسميته لكتابين ألّفهما وأبدع فيهما أطلق على أحدهما"**الإسلام الصحيح**" تمييزا له عن الإسلام الذي سماه العلاّمة الإبراهيمي" **بالإسلام الوراثي**" وأطلق على الآخر "**جماعة المسلمين**".

مؤلفاته المطبوعة :

1 – كتاب الإسلام الصحيح الذي طبعه في مطبعة المنار بمصر سنة 1345هـ بعد رجوعه إلى الجزائر، وجعله في شكل سؤال وجواب، وقال عنه إنّ بعضهم قد سأله أن يضع مثل هذا الكتيّب في الإسلام الصحيح على قواعده الأصلية المتّفق عليها لا المختلف فيها و قد طبع هذا الكتاب على نفقة أحد أعيان الجزائر وتجّارها الكبار.

[10] . الموسوعة الحرة ، إنترنيت

2 .كتاب جماعة المسلمين وهو عبارة عن رسالة مطوّلة في شأن جماعة المسلمين وقد قرّض كتابه هذا الشيخ الطيّب العقبي. وذكر في تقريظه اثني عشر بيتا[11]

3 – كتاب الخطب جمع فيه بعض خطبه وكان ذلك سنة 1343هـ الموافق لسنة1924 م طبع في الجزائر.

4 – خصائص أهل زواوة وهي رسالة وجهها من الشام إلى الطاهر الجزائري الذي كان بمصر وطلب منه أن يؤلف كتابا في" **خصائص أهل زواوة** "، وقد قام بطبعها أبو القاسم سعد الله ضمن كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.

5 – كتاب تاريخ زواوة وهو غير سابقه فقد فرغ من تأليفه سنة 1918م وهو في القاهرة ونشره في دمشق سنة 1924م، وقدم له الشيخ الطاهر الجزائري والسعيد اليجري و أعيد طبعه مؤخرا في الجزائر. وقد توصل فيه إلى أن الزواوة من قبيلة كتامة وأن كتامة وصنهاجة كلاهما من العرب العاربة أو العرب القحطانية، وقال أبو القاسم سعد الله في وصفه: " أما الكتاب نفسه فقد قسمه أبو يعلى الزواوي إلى سبعة فصول رغم صغر حجمه فجعل الفصل الأول في فضائل التاريخ والثاني والثالث في نسب الزواوة ومحامدهم..والرابع في زواياهم وعلمائهم وخدمتهم للغة العربية والخامس في بعض عاداتهم والسادس في الإصلاح المطلوب والسابع في لائحة نظام تعليم مقترح وبيان طريقة التعليم .

6 – كتاب فصول في الإصلاح ذكره في كتابه الخطب وتاريخ الزواوة

7 – مقالات منشورة في البصائر والشهاب والبلاغ وغيرها من الجرائد، وقد ذكر محمد الصالح صديق سنة 1994م أنه تم تكليف لجنة بجمع آثار أبي يعلى الزواوي، لكن لم يظهر شيء منها ونحن في آخر سنة 2002م.

مؤلفاته المخطوطة :

1– أصل كتابه جماعة المسلمين المذكور أعلاه

2 – تعدد الزوجات في الإسلام

[11] . أبوي يعلى الزواوي ، جماعة المسلمين ص47

3 – مرآة المرأة المسلمة » ذكره في الإسلام الصحيح، وفي الخطب أنه يقع في 200 صفحة.ضمّنه آراءه في المرأة، مبطلا عادات بني قومه في عدم توريثها ومنع نظر الخاطب إليها، ومناديا بضرورة تربيتها وتعليمها .

4 – ذبائح أهل الكتاب ترجمه إلى الفرنسية أيضا .

5 – الفرق بين المشارقة والمغاربة في اللغة العربية وغيرها من الفروق .

6 – الخلافة قرشية .

7 – الكلام في علم الكلام .

8- الغنى والفقير

9 – مراسلات أبي يعلى خصوصا مع شكيب أرسلان

10 - أسلوب الحكيم في التعليم

11 – الأمم الغربية والعربية

12. – رسالة في علم الخط ألفها عام 1947م

13.–النصوص التي ردها كفر صراح بإجماع المسلمين ذكره في مقال له في البصائر

14 – أصل البربر بزواوة ذكر أنه بين فيه أن أصل البربر من حِمْيَر وأنهم عرب قحطا نيون ويحتمل أن يكون هو نفسه تاريخ الزواوة كذا قال أبو القاسم سعد الله

هذا وقد ألّف أبو يعلى الزواوي كتبا صغيرة الحجم قضايا مهمّة لها صلتها الوثيقة بالأمّة والمجتمع في تلك الحقبة، مصحّحا للمفاهيم ومدافعا عن معالم الشخصية الإسلامية، ومساندا للإصلاح وداعيا إلى تطهير المعتقدات والسلوكات من الشوائب والبدع والخرافات[12]

صفاته وأخلاقه :

1 . **يتصف برقة الطبع وسلامة القلب** : قال الشيخ أحمد حماني:" الشيخ أبو يعلى الزواوي إمام **مسجد سيدي رمضان** بالقصبة من عاصمة الجزائر، علامة من كبار العلماء الأحرار، محقق، شجاع، سلفي العقيدة، طيب السريرة حميد السيرة، بليغ القلم سليم النية، غر كريم" .

[12] ـ الموسوعة الحرة ، إنترنيت

وقال فيه أيضا :" والملاحظة أن أبا يعلى عين رئيسا للجنة الدائمة بعد تأسيس الجمعية وابتعاد عمر إسماعيل عنها، وبقي وفيا لمبدئه شجاعا في مواقفه، عظيم النشاط في أعماله وكتاباته، وقد لقب في العلماء ب "**شيخ الشباب وشاب الشيوخ**" وكان يمتاز بشفقة وحنان على أمته، وكثيرا ما تسيل دمعته رحمة على البائسين"

2 . تواضعه للحق :ورد إليه سؤال عن حكم التوسعة على العيال في عاشوراء فأفتى بالجواز فرد عليه الشيخ عمر بن البسكري بجواب ننقل منه هذه الفقرات :« سيدي أحيط جنابكم أن الحديث المذكور يقول فيه حجة الإسلام ابن تيمية ما نصه حرفيا في كتابه منهاج السنة ج 4 ص 114 :" وقد يروي كثير ممن ينتسب إلى السنة أحاديث فضل – يظنونها من السنة وهي كذب كالأحاديث المروية في عاشوراء – غير الصوم والاكتحال فيه والاغتسال والخضاب والمصافحة وتوسعة النفقة على العيال فيه ونحو ذلك، وليس في أحاديث عاشوراء حديث صحيح غير الصوم هكذا يقول حرفيا وتبعه تلميذه ابن القيم وابن رجب وغيرهم ... هذا ومما زاد في تشجيعي على إسداء هذه الكلمة النصيحة لجنابكم قولكم حرفيا في العدد السابع عشر من البصائر :« وعلى كل حال فإنني لست ممن يقول لا أقبل النصيحة إلى أن قلتم بل إني أقبل النصيحة من أهلها بشرطها ". فكتب الشيخ جوابا رحب فيه بهذا الرد المؤدب والنصيحة الخالصة ختمه بقوله : "وإنه مما يجب التحري في الاستدلال بالحديث إلا إذا كان صحيحا وهو صواب لكنه صعب !! اللهم اغفر لنا ما قدمنا وأخرنا وألهمنا وألهم الأمة للصواب أن تتحفظ وتحذر من الوقوع في الكذب على نبيها والله المستعان وعليه التكلان".

ثقافة الواسعة : إن ما تميز به أبو يعلى الزواوي كثرة المطالعة وهي إحدى العوامل التي جعلته يكون أكثر تأليفا من غيره من أهل زمانه إضافة إلى التفرغ باعتباره كان إماما رسميا للمسجد مدة تفوق الثلاثين سنة، وهذه المطالعة قد ظهرت في كتاباته ومواضيع تأليفه فهو قد ألف في مواضيع مختلفة وفي قضايا شغلت الفكر الإسلامي في عصره :

أ . قضايا المرأة.

ب . قضايا الإصلاح.

ج . السبيل إلى تحكيم الشريعة.

د . إصلاح نظم التعليم وغيرها من الموضوعات.

وقد ظهر ذلك أيضا في المصادر المتنوعة التي اعتمد عليها في كتابه" **الإسلام الصحيح** " فقد فاقت الأربعين مرجعا ومصدرا ، والذي يلفت الانتباه هو مطالعته لكتب المخالفين فهو ينقل فضائح الطرقية من مصادر صوفية وينقل شهادة الكفار بالحق من كتبهم، وكان مطلعا حتى على كتب المستشرقين – **لأنه يحسن الفرنسية** –كما نراه في رد الشيخ أبي يعلى الزواوي على النائب ابن جلول لما قال ردا على المصلحين :" **رجوع الإسلام إلى أصله خطر على فرنسا** " حيث سرد فيه جملة من كتبهم التي يظهر أنه اطلع عليها واستفاد منها

بعض ما قيل فيه :

مقولة الشيخ الطيّب العقبي رحمه الله في مقال نشِر في "**الشّهاب**" ردّا على من انتقص الشّيخ أبي يعلى الزواوي: " ألا ما أشفقتما عليه، أو رحمتما شيخوخته، وسلفيّته الصّادقة، كما عرفتما مقدار مقدرته ، ومعرفة وبحثه وسبقا ...وتركتماه لنا عضدا قويّا، وشيخا سلفيّا إلى مذهب .

مقولة الشيخ الطيب العقبي في تقريظه لكتاب" جماعة المسلمين "

أبو يعلى إمام الحق فينا * وشيخ شباب المصلحينا

دعا بدعاية الإسلام قبلا * لدين الله رب العالمينا

فأبدع في اختصار القول ردا * على فئة الضلال المفسدينا

وقد غضبوا لقول الشيخ فيه * وضلوا في الضلالة تائهينا

فلم يعبأ بما فعلوا ولكن * تمادى يخدم الحق المبينا

مقولة الشيخ مبارك الميلي :" ...الشيخ الجليل العالم السلفي الأستاذ أبي يعلى الزواوي الذي لقبه الأخ الشيخ الطيب العقبي بشيخ الشباب وشاب الشيوخ. وكل من عرف هذا الشيخ وأنصفه اعترف له بهذا اللقب وسلم له بهذا الوصف".

مقولة الشيخ أحمد حماني رحمه الله :" علاّمة من كبار العلماء الأحرار، محقّق، شجاع، سلفيّ العقيدة، طيّب السّريرة، حميد السّيرة، بليغ القلم، سليم النيّة، غرّ كريم.

وقال فيه أيضا:"... وكان يمتاز بشفقة وحنان على أمّته، وكثيرا ما تسيل دمعتُه رحمة على البائسين"

مقولة أحمد توفيق المدني " : إذا ذكرت الرجال بالأعمال فإني أذكر العلامة الكبير الشيخ سيدي أبا يعلى السعيد الزواوي، بتأليفه القيم "**الإسلام الصحيح**" الذي نسف به الخرافات والأوهام "[13]

وفاته : توفي في 8 رمضان 1371هـ الموافق لـ 4 جوان 1952م عن عمر يناهز التسعين، وشيع جنازته خلق كثير وعدد كبير من رجال العلم والفضل، وصلى عليه الشيخ الطيب العقبي، وكتبت البصائر عنه .والبصائر ترزء في المصاب بفقد العلامة الزواوي، شيخ المصلحين في هذه الديار الذي طالما رفع صوته على صفحاتها بالنكير على المبتدعين والمبطلين [14] ، فتقدم إلى الفقيد الكبير وذويه وإلى أسرة العلم والإصلاح بتعازيها الخالصة . تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه بجوار من ذبّوا عن دينه من أبطال الإسلام الخالدين[15]

المبحث الثاني

مرجعية أبي يعلى الزواوي السلفيّة

1 – مرجعيته في الدّعوة إلى الطّريقة السّلفية، وذمّ علم الكلام :

[13] . الشّيخ محمّد حاج عيسى حفظه الله ، مقال منشور في الإنترنيت

[14] – أبو عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري ، مقال منشور على الإنترنيت

[15] - الموسوعة الحرة ، انترنيت

قال الشّيخ أبو يعلى **رحمه الله** في كتابه الإسلام الصحيح : اعلم أخي أن طريقة السّلف، الّتي هي اتّباع ما ثبت عن الله وعن رسوله من غير كثرة التّأويل، والدّخول في الأخذ والردّ من الجدل في المتشابه، وإيراد الشّبه والردّ عليها.

وأذكّر الآن بهذه المناسبة جمُلةً من أقوال الأئمّة العظام من السّلف الصّالح؛ لتعتبر – أيّها السّائل–، وتعلمَ أنّ الخوض غالبا خصوصا في قضايا الانتصار لمذهب دون مذهب،﴿ **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾[16] وتجدَ أنّ مذهب الحقّ في ذلك هو مذهب القرآن مذهب السلف، فإنّ القرآن الكريم أبا الخوض في ذلك لعجز المخلوق عن معرفة حقيقة الخالق، وإنّما تصدّى لتوجيه الأنظار للاعتبار كما تقدم[17]

ثمّ نقل الآثار المعروفة عن مالك، والشّافعي، وأحمد، وأبي يوسف، في ذمّ علم الكلام وأهله وقال: "وقد اتّفق أهل الحديث من السّلف على هذا".

مصرّحا بعد ذلك في أثناء الكتاب بعدم الانتماء لأي مذهب كلامي محدث من المذاهب الموجودة، فقال:" أما أنا ومن على شاكلتي من إخواني الكثيرين، فلا شريعة لنا ولا دين ولا ديوان إلاّ **الكتاب والسنة** وما عليه محمّد **صلّى الله عليه وسلّم** وأصحابه، وعقيدة السّلف الصّالح، فلا اعتزال، ولا ما تريدي، ولا أشعري، وذلك أنّ الأ شاعرة تفرّقوا واختلفوا، أي: المتقدمون منهم والمتأخرون، ووقعوا في ارتباك من التّأويل والحيرة في مسائل يطول شرحها [18]

2 –مرجعيته في نشر التوحيد، ومحاربة الشّرك :

قال الشّيخ أبي يعلى الزواوي **رحمه الله** أمّا عقيدتنا في الأولياء الّتي اتّخذوها ذريعة للطّعن فينا بأنّنا ننكرهم، وننكر الكرامة؛ ليُهيِّجوا علينا العامّة الّتي صُدَّت عن الله إلى الأولياء الأموات تطلب منهم ما لا يطلب إلاّ من الله ، وتتمسح بقبورهم وتوابيتهم ... أمّا كون الميت صالحا أو مات وليّا أو غير وليّ، أو على حسن الخاتمة، أو على غير ذلك – عياذا بالله– فإنّنا غيرُ

[16] - سورة الأنعام ، آية 91

[17] . أبو يعلى الزواوي ، الإسلام الصحيح ، ص 4 –5

[18] . أبو يعلى الزواوي ، الإسلام الصحيح ، ص 94

مكلَّفين بذلك، ولا نحكم لأحد بالجنّة ولا بالنّار، إلاّ من ورد فيهم النصّ، فهذه عقيدة أهل السنّة والجماعة.

أمّا التوسّل بهم، والطلب منهم، فممّا لم يثبت عن السّلف الصّالح شيءٌ منه، بل لم يُشرَعْ أصلا، وقد فتّشنا وقلّبنا وبحثنا في السّير وكتب الحديث الصّحيح مثل الموطّأ، والبخاري، ومسلم، فلم يثبت في خير القرون أنّهم قصدوا قبر النبيّ **صلّى الله عليه وسلّم** طالبين منه شيئا، ودليلنا أيضا على ذلك ما ثبت في صحيح البخاري أنّ عمر **رضي الله عنه** لما استسقى بالنّاس قال لهم: "إنّا كنّا إذا أجدبنا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعم نبيّنا، وهذا دعاء أقره الصّحابة والسّلف[19]

3 – مرجعيته في التزام السنن، ومجانبة البدع العملية :

لم يهمل الشّيخ أبو يعلى الزواوي رحمه الله **الدّعوة إلى الالتزام بالسنّة، ونبذ البدع العمليّة، خاصّة بدع التصوّف الّذي غرّقت الأمّة في أوحاله، فصرّح ببدعيّة تصوّف المتأخّرين، قال في البصائر:" وبالجملة، إنّ التصوّف محدثٌ في الأمّة اسماً ومعنىً وكما أنكر عليهم بدع العقائد، فقد أنكر عليهم بدع الأعمال: كالقراءة على الجنائز.**

وقال في كتابه الإسلام الصحيح : " ولست بمخطئٍ إن قلت بالمنع والحرمة، بسبب ما أحدثوا فيه، وهو من أصله محدث؛ إذ لم يكن السّلف الصّالح يعرفون هذا صوفيّ وذاك غير صوفي، أو ذا له طريقة وهذا لا طريقة له"[20] .

وإنّ الشّيخ رحمه الله **كان قد نشأ نشأةً صوفيّة، إلاّ أنّه تاب ورجع إلى الحقّ لمّا تبيّن له، كما صرح بذلك في أحد مقالاته : "نعم كنت قبل أربعين سنة خلوتيا فلما رأيت البدع، والمخالفة، والرّقص، والطّبل، واختلاط النّساء بالرّجال، طلّقتها ثلاثا بتاتا**

وإنّي أعلنت أنّي سلفيّ، وأعلنت أنّي تبرّأت ممّا يخالف الكتاب والسنّة، ورجعت عن كلّ قولة قلتها لم يقلها السّلف الصّالح [21]

---

[19] - البصائر ، السنة الأولى عدد:5 ، ص 8

[20] – أبو يعلى الزواوي ، الإسلام الصحيح ، ص 53

[21] . الشيخ حماني ، الصراع بين البدعة والسنة ، ص 2 –79– 91

4 . مرجعيته في الاجتهاد ونبذ الجمود : قال الشيخ أبو يعلى في كتابه الإسلام الصحيح والحال أنّ كلّ واحد من هؤلاء الأئمّة قال: إن وافق مذهبي الكتاب والسنة فبه ونعمت، وإلاّ فاضربوا به عُرض الحائط ؛ لأنّهم غير معصومين، ولا ألزموا النّاس بما استنبطوا وما دوّنوا، وإنّما العامّة والخاصّة ا رتضتهم .

وقال ردّا على المتعصّبين الّذين ينتصر كلّ واحد منهم لمذهب إمامه، ويقول إنّه هو الصّواب دون غيره :كلّها فاضلة، وكلّها صحيحة، إذ لا يمكن بحال أن يُقال هذا المذهب صحيح وهذا غير صحيح؛ لأنّهم أئمّة مجتهدون غير معصومين لا مجادلة، فهم سواء في الاجتهاد وسواء أيضا في عدم العصمة، وكان الإمام مالك يقول:" **كلّ أحد يؤخذ من كلامه ويردّ عليه إلاّ صاحب هذا القبر، يعني النبيّ صلّى الله عليه وسلّم**" [22]

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ومن سلك دربهم ما دام الليل والنهار . آمين

أ .د / بلقاسم شتوان

[22] – أبو يعلى الزواوي في كتابه الإسلام الصحيح ، ص 37 – الشّيخ محمّد حاج عيسى حفظه الله ، مقال منشور في الإنترنيت